جامعة كربلاء
كلية العلوم الإسلامية
دراسات اسلامية معاصرة / العدد 47 / آذار 2026

اليد في الخطاب القرآني: مقارنة دلالية معجمية

The Hand in the Qur'anic Discourse: A Lexical and Semantic Comparison

م.م وعد حامد ياس
Asst. lect. Waeed Hamid Yas

م.د. شيماء عبد كاظب العيساوي
Asst. Prof. Dr. Shaimaa Abd Kadhab Al-Eisawi

جامعة كربلاء/ كلية الزراعة
University Of Kerbala / College of Agriculture

الكلمات المفتاحية: يد، خطاب، دلالة، معجم.

Keywords: hand, discourse, semantics, lexicon

الملخص:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف خلقه وخاتم النبيين أبي القاسم محمد واله الطيبين الطاهرين.

أما بعد...

تعدُّ كلمة "اليد" من الكلمات ذات المعاني المتعددة في اللغة العربية، ولها أهمية خاصة في القرآن الكريم. ومع أنها قد حظيت بدراسات لغوية متعددة، إلا إن دراسة دلالاتها في القرآن الكريم بنحو تفصيلي ومقارنتها بدلالاتها المعجمية تعدُّ مسألة تستحق البحث والدراسة.

يهدف هذا البحث إلى الكشف عن التنوع الدلالي لكلمة "اليد" في الخطاب القرآن الكريم، وتحديد العوامل التي أسهمت في هذا التنوع، ومقارنة الدلالات القرآنية بدلالاتها المعجمية، وعن طريق هذا التحليل يسعى البحث للمحاولة في فهم أعمق للغة القرآن الكريم، ودلالاتها المعجمية والقرآنية.

وكان البحث قد بُني على تمهيد وأربعة مباحث . تناولت في التمهيد دلالة اليد المعجمية ومعانيها، ثم كان المبحث الأول مختصًا بالاستعمال الحقيقي للفظة (يد) في القرآن الكريم، وجاء المبحث الثاني في الاستعمال المجازي، المبحث الثالث في الاستعمال الاستعاري، والمبحث الرابع الاستعمال الكنائي، ومن ثم الخاتمة، وفيها أهم ما توصلت إليه من نتائج ثم قائمة بأهم المصادر والمراجع ومن جملة المصادر التي استعملتها تفسير الكشاف للزمخشري ومجمع البيان للطبرسي وأسرار البلاغة لعبد القاهر الجرجاني ولسان العرب لابن منظور، وغيرها من التفاسير والمعجمات والكتب البلاغية.

Abstract:

Praise be to Allah, the Lord of the Worlds, and peace and blessings be upon the noblest of His creation and the Seal of the Prophets, Abu al-Qasim Muhammad and his pure and righteous family.As for what follows...The word "hand" is considered one of the words with multiple meanings in the Arabic language, and it holds special significance in the Holy Quran. Although it has been the subject of several linguistic studies, examining its connotations in the Quran in detail and comparing them with its lexicographical meanings is an issue worthy of research and study.

This research aims to uncover the semantic diversity of the word "hand" in the Quranic discourse, identify the factors that contributed to this diversity, and compare the Quranic connotations with their lexicographical meanings. Through this analysis, the study seeks to contribute to a deeper understanding of the language of the Holy Quran and its lexicographical and Quranic connotations.

The research was structured into an introduction and four chapters. In the introduction, I discussed the lexical meaning of the word 'hand' and its various senses. The first chapter was dedicated to the literal usage of the word 'hand' in the Qur’an,

the second chapter addressed its metaphorical usage, the third chapter explored its allegorical usage, and the fourth chapter examined its figurative usage. The research concluded with a summary highlighting the main findings I reached, followed by a list of key sources and references. Among the sources I used were Al-Kashshaf by Al-Zamakhshari, Majma' al-Bayan, Asrar al-Balagha, Lisan al-Arab, along with other Qur'anic exegeses, dictionaries, and rhetorical books.

التمهيد

أ- الدلالة المعجمية للفظة (يـد)

عند تتبع هذه اللفظة في المعجمات العربية، وبيان معانيها نجد لها معاني كثيرة. فأول ما يطالعنا منها المعنى الحقيقي أو الدلالة المعجمية، وقد أشار إليها عدد من العلماء ومنهم الأزهري إذ يقول: " اليدُ اسمٌ على حرفين، قال: وما كان من الأسامي على حرفين فقد حُذِفَ منه حرفٌ فلا يُردّ إلا في التصغير والتثنية والجمع وربما لم يردّ في التثنية ويُثنى على لفظِ الواحد"[1] و "يدي: اليد الكفّ، اليَدُ من أطراف الأصابع إلى الكف، وهي أنثى محذوفة اللام وزنها فعلٌ محذوفة الياء تخفيفاً"[2]

ونجدها عند الأصفهاني بأنها "يديان على أن أصلهُ يَدي على وزن (فعلٌ) وتجمع على (أيادٍ)، وقيل يَدِي"[3] قال الشاعر[4]:

فإن لهُ عندي يديْاً وأنعما إذ

ومذهب الأخفش يقول: يدي كندي، ويخالفه سيبويه (يدوي)[5]، واليد أصلها يدي على فعل[6]، وتصغير" يد" يدية كسمية، وذلك يدي كعني[7].

وتجمع، "أَيْدٍ"، على ما يغلبُ في جمع (فَعْل) في أدنى العدد، و(يدي) كثدي، قال الجوهري: وهذا جمعُ فعلٍ مثلُ: فلسٍ وأفلسٍ وفلوسٍ[8]، ولا يجمع فَعَلٌ بتحريك العين على أفعلٍ إلا في أحرف يسيرةٍ معدودة، مثل زمن وأزمن وغيرها، وأَمَّا قول مضرس ابن ربعي الأسدي، أنشده سيبويه:

دوامي الأيد يضبطن السريحا.

فإنه احتاج إلى حذف الياء، فحذفها، وكأنه توهم التنكير في هذا فشبَّه لام العربية التنوين من حيثُ كانت هذهِ الأشياء من خواص الأسماء، فحذفت الياء تخفيفًا كما تحذفها لأجل التنوين، وقال الجوهري: هي لغة لبعض العرب يحذفون الياء من الأصل مع الألف واللام، فيقولون في المهتدي: المهتدِ[9].

وقال ابن بري: "والصحيح أن حذف الياء في البيت لضرورة الشعر لا غير وكذلك ذكره سيبويه"[10]

وبعض العرب يقول لليدِ يدى، مثل رحى، وقال بعضهم "اليدا" لغة في اليدِ، جاء متممًا على فعلٍ مثل قولهم:

قد أقسموا لا يمنحوك نفعه

حتى تَمُدَّ إليهم كف اليدا

وكذلك حققه ابن جني في أول كتابه المحتسب.

وقيل في قوله تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾، [المسد:1] إنها على الأصل؛ لأنها لغةٌ في اليدِ، أو هي الأصلُ، وحذفَ ألفهُ، أو هي تثنية اليَد كما هو المشهور (كاليدةِ)، والصواب: كاليدةِ[11] "واليَدُّ مشدَّدَةً" فهي اربع لُغاتٍ. وقال ابن بُزرْجَ: العرب تشّدَد القوافي وان كانت من غير المضاف، ففي "وهما يدان" على اللغةِ الأولى، وأما على اللغة الثانية فيديانِ[12] "وتجمع اليَدُ يديًّا مثل عبدٍ وعبيد وتجمع أيْدِيًا ثم تجمع الأيدي على أيدينَ ثم تجمع الأيدي أيادي، وقال ابن سيده: أياد جمع الجمع، وأكثر ما تستعمل في النعم لا في الأعضاء"[13] وتجمع اليَدُ التي في الجسد الأيدِي "[14]

وعليه يمكننا القول إنَّ «يد» تجمع على (الأيادي) عندما يراد بها استعمال مجازي وتجمع على (الأيدي) عندما يراد بها عضواً في الجسد (أي اليد الجارحة).

ونحن نرى أنَّ تشعب النعم وكثرتها وتعدد طرقها أدى إلى استعمال الأيادي فيها لدلالة الفتحة والألف على الاطلاق، أما الأيديِ بالكسرة، المحدودية اليد وهي مثناة وليس جمعًا، فدلالة الكسرة والياء، على انحسار الأمر وهو ما يدل عليه صوت الياء في الفم.

وقد يكون الأمر متعلقًا بزيادة المبنى لزياده المعنى؛ فالنعم كثيرة. فكان من (أيادي) متكونة من خمسة أحرف و(أيدي) من أربعة؛ لأنها فقط يدين لا أكثر.

ب–معان لـ (يد) على وجه الاتساع.

هناك معانٍ لـ«اليد» عند العرب ومنها:

العرب تقول: مالي به يد: أي مالي له قوة، ومالي به يدان، وما لهم بذلك (أيد) أي قوة، ولهم أيد وأنصار وهم أولو الأيدي والأبصار.

واليد : الغنى والقدره، تقول: لي عليه يد أي قدرة، واليد النعمة، والقوة، والقدرة، والملك، والسلطان، والطاعة، والجماعة، والأكل. يقال: ضع يدك أي كُل، والندم، ومنه يقال: سقط في يده إذا ندم، وأسقط: أي ندم، والغياث، ومنع الظلم، والاستسلام، والكفالة في الرهن، ويقال للمعاتبِ، ها يدي لك، ومن أمثالهم: ليد ما أخذت، المعنى من أخذ شيئًا فهو له[15].

وقولهم: يدي لك رهن بكذا: أي ضمنت ذلك وكفلت به.

وقال ابن شميل: له عليَّ يد، وأنشد[16]:

له عليَّ أياد لست أكفرها

وإنما الكفر أن لا تشكر النعم

وقال ابن هابي من أمثالهم أطاع يدًا بالقود فهو ذلول إذا انقاد واستسلم.

وتقول العرب: كانت به اليدان أي فعل الله به ما يقوله لي، وكذلك اليد بمعنى «الجاه» و «الوقار» و «الطريق»[17]

المبحث الأول

- **الاستعمال الحقيقي للفظة (يد):**

إنَّ للفظة (يد) استعمالاً حقيقياً ومعناها: الكفَّ، وحدودها من أطراف الأصابع إلى الكف[18]، وقبل الخوض في هذا الصدد يجب التعرف اولًا على معنى الحقيقة عند البلاغيين؛ فالحقيقة لغةً: هي (فعيلة) معنى (فاعل) من قولهم حق الشيء يحق إذا ثبت أو بمعنى (مفعول) من قولهم حُقُقْتُ الشيء أحققهُ، إذا أثبته، ثم نقلت الكلمة الثانية في معناها الأصلي بالاعتبار الأول، او المثبته في ذلك بالاعتبار الثاني[19]، والتاء فيها نقل من الوصفية إلى الاسمية[20]، وعند السكاكي التاء للتأنيث على الوجهين. أما على الأول فظاهر؛ لأن (فعيل) بمعنى (فاعل) يذكر ويؤنث سواء أجري على موصوفه أولًا، فهو رجل ظريف وأمرأة ظريفة، وأما على الثاني فلأنه يقدر لفظ الحقيقة قبل النقل إلى الاسمية صفة لمؤنث غير مجراهُ على موصوفها، و(فعيل) بمعنى (مفعولة) إنما يستوي فيه المذكر والمؤنث إذا أُجري على موصوفه نحو رجل قتيل وأمرأة قتيل. وأما إذا لم يجر على موصوفه فالتأنيث واجب دفعًا للالتباس نحو مررت بقتيل بني فلان، وقتيلة بني فلان. وأما الحقيقة اصطلاحًا: فهي ما أفادت معنى[21] مصطلحًا عليه في الوضع الذي وقع فيه التخاطب.

وعرفها عند القاهر الجرجاني بقوله: "هي كل كلمة أريد بها ما وقعت له في وضع واضح – وإن شئت قلت: في مواضعة. وقوعًا لا تستند فيه إلى غيرهِ"[22].

والحقيقة في المفرد هي الكلمة التي يراد بها المعنى الذي وضع لها أصلًا أي في المواضعة بحسب تعبير عبد القاهر، ويقصد بالمواضعة عدم قصر الوضع على الواضع الذي ابتدأ اللغة أو المواضعة اللغوية لئلا تخرج بهذا التحديد للمفردات المستجدة كالإعلام أو غيرها مما تأخر وضعه عن أصول اللغة. ومن هذا المنطلق أيضًا – عرف الحقيقة في الجملة بقوله: "فكل جملة وضعتها على أن الحكم المفاد بها على ما هو عليه العقل وواقع موقعه فيها حقيقة ولن تكون كذلك حتى تعرى من التأول، ولا فصل بيد أن تكون مصيبًا فيما أفدت بها من الحكم او مخطئًا وصادقًا أو غير صادق"[23] وأما الحقيقة في البيان فقسمان: لفظية وعقلية.

أ- الحقيقة اللفظية: وهي اللفظ المستعمل في المعنى اللغوي الذي وضع له وظاهر اللغويين عند نقلهم استعمال اللفظ في شيء، الدلالة على أنه حقيقة. كالسيف لأداة القتال المعروفة والقلم لأداة الكتاب، وما إلى ذلك.
والحقيقة عند ابن جني: ما أقر في الاستعمال على أصل وضعه في اللغة"[24].
وعند ابن الاثير أنها: "اللفظ الدال على موضوعه الأصلي... والحقيقة اللغوية هي الألفاظ في دلالتها على المعاني، وليست بالحقيقة التي هي ذات الشيء أي نفسه وعينه، فالحقيقة اللفظية إذًا هي دلالة اللفظ على المعنى الموضوع له في أصل اللغة"[25]. ولم يرتض العلوي بهذا التعريف "لعدم شموله للحقيقة العرفية والحقيقة الشرعية، واختصاصة بالحقيقة اللغوية، وليس هذا من شأن التعاريف فإن من شرط صحتها أن تكون شاملة"[26].

ب- الحقيقة المعنوية أو العقلية[27]: وهي إسناد الفعل أو ما في معناه إلى صاحبهِ الحقيقي عند المتكلم في الظاهر والمراد من "الأسناد" النسبة الحاصلة من ضم الفعل لما هو له، سواء أكانت النسبة إنشائية أم خبرية. والمراد من الفعل لفظ الفعل الاصطلاحي، والمراد من قوله: "او ما في معناه" إسناد لفظ دال على معنى الفعل كالمصدر

واسم الفاعل، واسم المفعول، والصفة المشبه، واسم التفضيل، والظرف والجار والمجرور والظرف إنما يكون فيه معنى الفعل إذا كان مستقرًا لاستقرار معنى العامل فيه، لا لكونه لغوًا، فكل هذهِ الأنواع تدل على الحدث غير مقترن بزمن فهي تدل على جزء من معنى الفعل وهو الحدث ولا تدل على معنى الفعل كله، نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان: 34]، فكل من الفعل (ينزل)، و(يعلم)، مسند إلى فاعله الحقيقي وهو (الله) سبحانه.

وبعد التعرف على معنى الحقيقة لغةً واصطلاحًا سوف نقوم باستعراض مجموعة من الآيات التي وردت فيها لفظة "يدي" استعمالًا حقيقيًا وهي: الجارحة المعروفة[28] من ذلك قوله تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾، [المسد:1]، فالمراد هنا اليد الجارحة، "والمعنى: هلكت يداه؛ لأنه فيما يروى: أخذ حجرًا ليرمي به رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، (وبتًا)، هلك كله. إذ جعلت يداه هالكتين. والمراد هلاك"[29]، كقوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾

[الحج: 10]، وكذلك في قوله تعالى: ﴿مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ ۝ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ﴾ [عبس: 14، 15]، ففي هذه الآية استعمال حقيقي لـ(اليد) أيضًا، ومعنى الآية كما ذكرها الزمخشري (مطهرة) "منزه من أيدي الشياطين، لا يمسها إلا أيدي ملائكة مطهري (سفرة) كتبة يستنسخون الكتب من اللوح، وقيل السفرة: القرّاء، وقيل: أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)"[30] الذين هم القراء وكذلك أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) هذا هو المعنى الحقيقي لليد وتستعمل للمجاز؛ لأننا لا نعرف الملائكة، والدليل على أن اليد بمعنى الجارحة. وقال كتبة أو ليس ذلك لغير المراد، وايضًا في قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [يس: 65]، فالمراد هنا (أيديهم) اليد الجارحة الحقيقية والمعنى "يروى أنهم يجحدون ويخاصمون" فتشهد عليهم جيرانهم وأهاليهم وعشائرهم، فيحلفون ما كانوا مشركين، حينئذٍ يختم على أفواههم وتتكلم أيديهم وأرجلهم.

وفي الحديث "يقول العبد يوم القيامة: إني لا أجيز عليّ شاهدًا إلا من نفسي، فيختم على فيه، ويقال لأركانه أنطقي فتنطق بأعماله ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول: بعدًا لكنَّ وسحقًا، فعنكنّ كنت أناضل"[31]، وقرىء: "ويختم على أفواههم وتتكلم أيديهم"، وقرىء"ولتكلمنا أيديهم وتشهد" بلام (كي) والنصب على المعنى: ولذلك نختم على أفواههم وقرىء: "ولتكلمنا أيديهم ولتشهد" بلام الأمر والجزم على أنّ الله يأمر الأعضاء بالكلام والشهادة"[32] وأيضًا في قوله تعالى: ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾[النمل: 12]. فهنا استعمال حقيقي فكان ادخال يده وإخراجها بيضاء آية من الآيات التسع إلى فرعون وقومه، ويذكر الزمخشري ذلك "والمعنى: وألق عصاك، وأدخل يدك: في تسع آيات، أي: في جملة تسع آيات وعددهنّ.

ولقائل أن يقول: كانت الآيات إحدى عشرة: اثنتان منها اليد والعصا"[33]. وكذلك وردت لفظة "يد"، في موضع آخر من القرآن الكريم بالمعنى نفسه آية من الآيات إلى فرعون من ذلك قوله تعالى: ﴿وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ

بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ﴾ [الأعراف: 108]، روي أن فرعون لما أبصر الآية الأولى قال: فهل غيرها؟ فأخرج يده فقال له: ما هذه؟ قال: يدك فما فيها؟ فأدخلها في إبطه ثم نزعها ولها. شعاع يكاد يغشى[34] الأبصار ويسّد الأفق[35].

وكذلك وردت بالمعنى نفسه في قوله تعالى: ﴿اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ [القصص: 32]: أيضًا استعمال حقيقي آية من الآيات لفرعون، في موضع آخر من القرآن الكريم.

وأيضًا في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو اللَّهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: 249]، ففي قوله تعالى أعلاه يكون المراد بها اليد الحقيقية الجارحة ولكن هناك رأي آخر ذكره المفسرون وهذا ما سنورده لاحقًا فجاء في البحر المحيط المعنى، "ويتعلق: بيده، بقولهِ اغتراف قيل: ويجوز أن يكون نعتًا لغرفة، فيتعلق بالمحذوف. وظاهر: غرفة بيده، الاقتصار على غرفة واحدة، وأنها تكون باليد، قال ابن عباس، قال مقاتل: كانت الغرفة يشرب منها هو ودوابه وخدمه ويحمل منها، قال مقاتل: ويملأ منها قرينه، قيل فيجعل الله فيها البركة حتى تكفي لكل هؤلاء، وكانت هذه معجزة لنبي ذلك الزمان"[36].

هذا الرأي الأول أما الرأي الثاني: "قال بعض المفسرين: لم يرد غرفة الكف، وإنما أراد المرة الواحدة بقربة أو جرة أو ما أشبه ذلك، وهذا الابتلاء الذي ابتلى الله به جنود طالوت ابتلاء عظيماً، حيث منعوا من الماء مع وجوده وكثرته في شدة الحر، وأن من أبيح له شيء منه وإنما مقدار ما يغرف بيده، وأين يصل منه ذلك؟ وهذا أشد في التكليف مما ابتلى به أهل قريةٍ كانت حاضرةَ البحر (أي على ساحل البحر)، وقد ورد ذكرهم في القرآن الكريم، وأشهر الأقوال أنها قرية أَيْلَة على ساحل البحر الأحمر، مع إمكان ذلك فيه، وكثرة ما يرد إليهم فيه من الحيتان"[37] وأيضًا في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ [الأنعام: 7]، فهنا يعطي لهذه الآية دلالتها الحقيقية (اليد) الجارحة بدليل قولهِ: "فلمسوه بأيديهم"، فهنا (اللمس)، أشارة لليد ولم يقتصر بهم على الرؤية لئلا يقولوا سُكرت أبصارنا، ولا تبقى لهم علة، لقالوا: "إن هذا إلا سحرٌمبين" نعتًا وعنادًا للحق بعد ظهوره واللمس باليد أبلغ في الاحساس من المعاينة، ولذلك قال: فلمسوه بأيديهم دون أن يقول: فعاينوه"[38]. وأيضاً في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ﴾ [هود: 70].

فهنا المراد بها اليد الجارحة، لأنه حينما رأى أيديهم لا تصل إلى الطعام. أوجس منهم خيفه، قيل كانت عادتهم أنه إذا مسّ من يطرقهم طعامهم أمنوه وإلاخافوه[39]. وأيضًا قوله تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [المائدة: 38]، فالمراد هنا في قوله تعالى (اليد الجارحة) والمعنى الذي سرق والتي سرقت فاقطعوا أيديهما، وأريد باليدين اليمينان[40].

وسوف يرد الحديث عن هذه الآية في الاستعمال المجازي لاحقًا بتفصيل أوسع. وكذلك في قولهِ تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ

وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾ [البقرة: 79]، فهنا أيضًا استعمال حقيقي وهو استعمالها للكتابة، فالاشارة إليه باليد الجارحة والمعنى "يكتبون الكتاب"، المحرف (بأيديهم) تأكيداً، وهو من مجاز التأكيد، كما تقول لمن ينكر معرفة ما كتبه: يا هذا كتبته بيمينك هذه[41]. وكذلك في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ [يوسف: 31].

كذلك في قوله تعالى﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: 50]، فقد وردت في الآيتين السابقتين بمعنى (اليد الجارحة)، وقد ذُكِرَ في معنى هاتين الآيتين قيل أنه دعت أربعين امرأة منهن الخمس المذكورات (واعتدت لهُنَّ متكئًا)، ما يتكئن عليه من نمارق، قصدت بتلك الهيئة وهي قعودهنَّ متكئات والسكاكين في أيديهنّ: أن يدهشن ويبهتن عند رؤيته، ويشتغلن عن نفوسهنّ فتقع أيديهن على أيديهنّ فيقطعنها؛ لأن المتكىء إذا بهت الشيء وقعت يده على يده، ولا يبعد أن تقصد الجمع بين الكوع واليد فتصح الخناجر في أيديهنّ ليقطعنّ أيديهنّ، فتبكتهن[42]، الحجة ولتهول يوسف من مكرها إذا خرج على أربعين امرأة مجتمعات في أيديهنَّ الخناجر، وتوهمت أنهنَّ يثبن عليه، وقيل: "متكأ: مجلس طعام لأنهم كانوا متكؤن للطعام والشراب كعادة المترفين"[43].

المبحث الثاني

المعنى المجازي للفظة اليد في العربية وفي القرآن الكريم

اولًا: المعنى المجازي للفظ "اليد" وتطوره في اللغة العربية

مرت اللغة العربية بتحولات واسعة في دلالة الألفاظ، ففي بداياتها، كانت الألفاظ تُستعمل للدلالة على معانيها الحسية المباشرة، غير أن تطور السياقات الفكرية والاجتماعية أدى إلى اكتساب هذه الألفاظ لمعانٍ إضافية جديدة. ويمثّل لفظ "اليد" مثالًا بارزًا لهذا التطور الدلالي؛ إذ انتقل من دلالته الأصيلة، أي الجارحة المعروفة، إلى دلالات متعددة، منها:

القوة، والملك، والسيطرة، والنعمة، والتدبير، ولم يكن هذا التحول عشوائيًا، بل جاء نتيجةً لاشتغال الأدباء والبلاغيين على توسيع طاقة التعبير عبر المجاز، فانتقلت الألفاظ من معانيها الحسية إلى استعمالات رمزية ودلالية، مما مهد لدخول المجاز في الخطاب العربي بنحو واسع، ولاسيما في النص القرآني الذي نزل بلغة العرب، فاستعمل ألفاظهم ومفاهيمهم، لكنه أضفى عليها أبعادًا بلاغية وإعجازية جديدة.

وعلى الرغم من أن القرآن استعمل لغة قومه، إلا أن السياق الإسلامي الجديد استدعى ضرورة تحليل النصوص بطرق أعمق، فبرزت محاولات البلاغيين والمفسرين لتأطير مفاهيم المجاز وفهمها ضمن البناء البياني للنص القرآني. وقد ورد لفظ "اليد" في القرآن بعدة مواضع لا يُراد بها معناها الحسي، بل دلالات رمزية تنسجم مع السياق وتؤدي المعنى بصورة أبلغ.

ولفهم هذه الاستعمالات، لا بد من الوقوف أولًا عند مفهوم المجاز.

أولًا: المجاز في اللغة والبلاغة المجاز في اللغة مأخوذ من "جاز"، أي "تجاوز"، يُقال: "جاز المكان" إذا عبره، ومن ذلك ما ورد في لسان العرب: "جُزْتُهُ وَجَاوَزْتُهُ: تَعَدَّيْتُهُ"[44]، وكذلك في قوله تعالى:

﴿ ۞ وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس: 90]، حيث تدل كلمة "جاوز" على العبور والتجاوز.

وإذا تجاوز اللفظ معناه الأصيل إلى معنى آخر، وُصف بأنه "مجاز"؛ لأنه تجاوز موضعه الحقيقي إلى موضع جديد[45]. والمعتمد في تحديد المجاز أن تُراد الكلمة في غير ما وُضعت له أولًا[46].

ومن أمثلته قولهم "أسد" ويراد به "شجاع"، أو "بحر" ويُراد به "جواد"[47].

وقد قسّم علماء البلاغة المجاز على أنواع، أبرزها[48]:

1. **المجاز اللغوي:**
   - ما يقوم على المشابهة: ويُعرف بـ"الاستعارة".
   - ما لا يقوم على المشابهة بل على علاقة غيرها، ويُعرف بـ"المجاز المرسل" (كعلاقة السببية، الجزئية، الكلية...).
2. **المجاز العقلي:** وهو إسناد الفعل إلى غير ما هو له في الحقيقة. مثل: "ربحت التجارة" و"سار الطريق"[49].
3. **مجاز الحذف والزيادة:** والحذف لغةً: قطع الشيء من طرفه، وحذف الشيء: اسقاطه وتخفيفه[50]. والزيادة لغةً: خلاف النقصان[51]. إذ يُحذف أو يُزاد في اللفظ ما يُفهم معناه من السياق.

ثانيًا: دلالات "اليد" المجازية في القرآن الكريم

أبرز القرآن الكريم براعة استعمال المجاز، ومن ذلك ما يتعلق بلفظ "اليد"، إذ ورد استعماله في دلالات متعددة، منها:

1. قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا﴾، [يس: 71]، والمراد بـ"أيدينا" هنا: القدرة. والقرينة هي استحالة نسبة الجارحة إلى الله تعالى، فهو مجاز مرسل علاقته السببية، لأن اليد سبب العمل.

2. قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: 10] اليد هنا تشير إلى القوة والسيادة، لا الجارحة، وهي مجاز مرسل أيضًا[52].

3. قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾، [الذاريات: 47]، والمراد "بأيدٍ" أي بقوة، واليد هنا وسيلة الفعل، أي القدرة[53]

4. قوله تعالى: ﴿ وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوا ۛ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: 195]، والمقصود: لا تُلقوا بأيْدِيكُم، فعُبّر عن الكل (الأنفس) بجزء منها (الأيدي)، وهو مجاز مرسل علاقته الجزئية[54]

5. قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾، [الحجرات: 1]

اليدان هنا تُطلقان مجازًا على الجهتين المقابلتين، والمعنى: لا تتعجلوا أو تسبقوا أمر الله ورسوله، والمجاز هنا مرسل بعلاقة المجاورة(55).

6. قوله تعالى:

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ ۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا ۚ وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ۚ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ ۚ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾، [المائدة: 64]، وقيل إن اليد هنا مجاز عن البخل، والرد الإلهي: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ يدل على الجود، وهو مجاز مرسل بعلاقة السببية(56).

7. قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾، [الأعراف، الآية 57].

اليدان هنا تدلان على السبق الزمني، أي أن الرياح تأتي قبل المطر، واليد مجاز عن الزمن، وعلاقته السببية أيضًا(57).

8. قوله تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾، [المائدة: 38]

ورأى بعض العلماء أن المعنى مجاز بالحذف، أي أن القطع يقع على بعض اليد لا كلها، ويُفهم ذلك من السنة، وهذا مجاز مدعوم بقرينة مانعة من اللبس، وقيل أيضًا إنّ المراد في هذا الموضع: أصابع اليد اليمنى ما عدا الإبهام، ويُلاحظ هنا بلاغة العلاقة الكلية والجزئية، حيث يمثل الكل مسؤوليةً عن الجزء، والعكس صحيح(58).

10. قوله تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾، [المسد:1].

فُسّرت اليد هنا بعدة أوجه: بعضهم قال: اليد جارحة في المعنى الحسي، وبعضهم قال: اليد مجاز عن العمل؛ لأن أكثر الأفعال تتم باليد، وعليه فهي مجاز عن الخسارة في العمل أو الفعل أو النفس،وهناك من قال: إنها مجرد صلة لفظية كما في: "يد الزمان"، أي صفرت يداه من كل خير(59).

يتبين من تتبع دلالة "اليد" في الخطاب القرآني أن المجاز لم يكن مجرد تزيين بلاغي، بل أداة اتساع دلالي وفتح رمزي عميق. فاليد لم تعد تشير فقط إلى الجارحة، بل صارت رمزًا للقوة، والنعمة، والسيادة، والعمل، والخسران، والجزاء، وغيرها من المعاني، في تنقل بلاغي دقيق، قائم على القرائن والسياقات. وهذا الاستعمال القرآني يثبت براعة المجاز العربي في نقل المعاني المجردة إلى صور محسوسة، تُقرّب الفكرة وتُعزز التأثير.

المبحث الثالث

- **الاستعمال الاستعاري للفظة "يد" في القرآن الكريم**

يتّسم القرآن الكريم بثراء دلالي لا نظير له، وتتجلّى هذه السمة في تعدّد استعمال الألفاظ وتنوّع دلالاتها. ومن الألفاظ التي حظيت بعناية بيانية خاصة، لفظة "يد"، التي لم يقتصر استعمالها في النصّ القرآني على معناها الحسّي المعروف، بل تجاوز ذلك إلى توظيفها ضمن أنساق مجازية واستعارية تعبّر عن مفاهيم أوسع وأشمل، تمسّ القيم والمعاني الكبرى.

وقد استعمل العرب لفظة "يد" في كلامهم للدلالة على العضو المادي المعروف، كما استعملوها في سياقات مجازية تفيد السيطرة أو الكرم أو القدرة. لكن القرآن، في سياق بلاغته الفريدة، أعاد بناء هذه الدلالات بما يتناسب مع رسالته، فوظّف اللفظة بطريقة تجعلها قابلة لتعدّد القراءة، دون أن تفقد معناها الأصلي أو تنفصل عن السياق العام للآية.

إنّ تناول الاستعمال الاستعاري للفظة "يد" في القرآن لا يمكن أن ينفصل عن إدراك المنهج البياني الذي اعتمده النصّ في إيصال المعنى عبر الاستعارة، سواء أكانت تصريحية أم مكنية. كما أن فهم هذا الاستعمال يقتضي أولًا الوقوف عند مفهوم الاستعارة، لغةً واصطلاحًا، لما لذلك من أهمية في تحديد المعنى المجازي المقصود.

فالاستعارة في أصلها اللغوي مشتقة من الفعل "استعار"، ويُقال: "استعار الشيءَ من فلان"، إذا طلبه منه على سبيل العارية. وقد ورد في لسان العرب ما يفيد هذا المعنى، إذ جاء فيه:"عار الشيءَ يعيره إياه، والمعاورة والتعاور: المداولة والتداول في الشيء يكون بين اثنين. واستعار الشيءَ: استعاره منه، أي طلب منه أن يعيره إياه، فهو بذلك ليس ملكًا دائمًا للمستعير، وإنما هو استعمال مؤقت لمقتضى الحاجة."[60]

ومن حيث المعنى الاصطلاحي، فقد تناول علماء البلاغة مفهوم الاستعارة بوصفها أحد أبرز أساليب التعبير المجازي، التي تتيح للّغة تجاوز معناها الظاهري إلى أبعاد دلالية أعمق. وقد قدّم الإمام عبد القاهر الجرجاني تفسيرًا دقيقًا لهذا المصطلح، يتّسم بالوضوح والتحليل المنهجي، إذ يقول في كتابه أسرار البلاغة: "أعلم أن الاستعارة في الجملة أن يكون للّفظ أصل في الوضع اللغوي، ومعروف، تدلّ الشواهد على أنه اختصّ به في موضعه، ثم يستعمله الشاعر أو غير الشاعر في غير ذلك الأصل، وينقله إليه نقلاً غير لازم، فيكون هناك كالعارية."[61]

وتتجلّى عناية الإمام الجرجاني بالاستعارة أيضًا في كتابه دلائل الإعجاز، إذ عُدّ من أوائل من أحاطوا بهذا الفن البلاغي بإدراك دقيق لطبيعته وآلياته، إذ بيّن أن الاستعارة تقوم على نية تشبيه شيء بشيء، غير أن المتكلم يتجاوز التصريح بذلك، فيدع جانبًا ذكر وجه الشبه، ويُجري اسم المشبَّه به على المشبَّه مباشرةً. فبدل أن يقول: "رأيتُ رجلاً كالأسد في شجاعته وقوة بطشه"، يقول: "رأيتُ أسدًا". وهنا لا يُفهم المقصود إلا عن طريق السياق، مما يجعلها ضربًا من ضروب المجاز العقلي. وقد عبّر الجرجاني عن ذلك بقوله: "الاستعارة أن تريد تشبيه الشيء بالشيء، فتدع أن تُفصح بالشبيه وتُظهره، وتجيء إلى اسم المشبَّه به فتعده المشبَّه، وتُجريه عليه، وتريد أن تقول: رأيت رجلاً كالأسد في شجاعته وقوة بطشه، فتدع ذلك وتقول: رأيت أسدًا"[62].

أقسام الاستعارة

وقد قسم البلاغيون الاستعارة على أقسام متعددة من أربعة أوجه رئيسة:

أولًا: من جهة حذف أحد طرفي الاستعارة.

الاستعارة التصريحية: يُصرّح فيها بالمشبّه به دون المشبَّه.

الاستعارة المكنية: يُحذف فيها المشبّه به، ويُكنى عنه بشيء من لوازمه.

ثانيًا: من جهة جمود لفظ الاستعارة أو اشتقاقه.

الاستعارة الأصلية: ما جُعل فيها المستعار اسم جنس غير مشتق، مثل "أسد" للرجل الشجاع أو "حاتم" في موضع الكرم.

الاستعارة التبعية: ما كان فيها اللفظ المستعار مشتقًا أو فعلاً أو حرفًا، وتكون غالبًا تصريحية.

ثالثًا: من حيث التجريد والترشيح.

المجرّدة: خلت من الصفات الملازمة للمشبَّه أو المشبَّه به.

المرشّحة: وردت فيها صفات تلائم المشبَّه به.

المطلقة: ذكرت فيها صفات تلائم الطرفين دون ترجيح.

رابعًا: من جهة التركيب والإفراد.

المفردة: إذا وقع المجاز في لفظ واحد.

المركّبة: إذا وقع المجاز في تركيب أو عبارة تامة(63).

ومن أبرز المواطن القرآنية التي تجلّى فيها الاستعمال الاستعاري للفظة "يد"، قوله تعالى: ﴿وهو الذي أرسل الرياحَ بُشْرًا بين يدي رحمته﴾، [الفرقان: 48]، في هذه الآية، نجد توظيفًا بليغًا لعبارة "بين يدي رحمته"، حيث جاءت "اليدان" استعارةً للدلالة على القرب والمقدمة، إذ شُبّه المطر بشخص يُستقبل، فتكون الرياح بمثابة مُقدِّم يسير بين يديه. وقد فسّر الزمخشري هذا الأسلوب في الكشاف بأنه بمعنى "قدّام المطر"، أي قبله مباشرة(64)، وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [المجادلة: 12]. ففي تعبيره "بين يدي نجواكم" استعارة مأخوذة من صاحب اليدين، والمعنى: قبل نجواكم، كما قال عمر: " إن من أفضل ما أُوتي العرب الشعر، يُقدّمه الرجل أمام حاجته، فيستمطر به الكريم، ويستنزل به اللئيم"، أي: يتوسل به قبل طلبه، فالتقديم هنا يُفهم في معناه المجازي بأنه خير وأطهر(65).

ومن ذلك أيضًا قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: 10]، وقد تقدّم بيانه باعتباره استعارة مكنية تمثّل فيها الله تعالى بمن يبايع، وأُثبت له اليد بمعناها المجازي، لا الحقيقي، تأكيدًا لمقام المشاكلة بين الفعل والمآل(66).

وفي قوله تعالى: " ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الحجرات: 1]، استعارة تمثيلية، شُبّه فيها تعجّل الصحابة في الحكم والتصرف أمام النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بمن يتقدّم أمام قائده في المسير، وهي استعارة تمثّل حالًا بصريًّا مجازيًا لفعل معنوي(67). وفي قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾، [الحديد: 12]، نجد في عبارة "يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم" استعارة تصريحية أصلية؛ إذ جُعل "النور" استعارة عن الهدى والرضوان الذين يُحيطون بالمؤمنين يوم القيامة، فحُذف

المشبَّه به (النور) وبقي المشبَّه (الهدى والرضوان)، مما يُضفي على التعبير بُعدًا تصويريًّا يُجسّد المعنى المعنوي بصورة حسية مُبهرة[68].

وفي قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [المائدة: 48]، نجد أن وصف القرآن بـ"مهيمن" يتضمّن دلالة استعارية قوية؛ إذ يُستعار هذا اللفظ في الأصل للدلالة على الرقيب أو الشاهد الأمين، ثم نُقل إلى القرآن ليعبّر عن إحاطته بالكتب السابقة وتصديقه لها وتفنيده لما طرأ عليها من تحريف، فهو مهيمن بمعنى أنه ضابط لمضامينها ومُبيّن لحقائقها.

تُعدّ هذه الآيات من المواضع التي ورد فيها الاستعمال الاستعاري للفظة "يد"، ويُفهم منها معنى التصديق بما تقدّم من الكتب السماوية، كالإنجيل الصحيح. وقد ورد ذكر "اليدين" في هذا السياق على سبيل الاستعارة، كما يُقال: "هو بين يديك"، أي يسير أمامك، وكما يُقال "مهيمن عليه"، أي مشرف عليه وشاهد. وهذا كله من باب المجاز، والمراد في هذا الموضع أنّ هذا الكتاب يُبيّن الدلالة ويقوم مقام النطق في صحة الشهادة[69].

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ [المائدة: 64]، فهذه استعارة أيضًا، إذ أخرج اليهود هذا القول في سياق نسبة الحالة إلى الله تعالى، فكذّبهم سبحانه بقوله: "بل يداه مبسوطتان...". وليس المراد بذكر اليدين العدد، بل المقصود المبالغة في وصف النعمة. وهذا شائع في كلام العرب، كأن يقول أحدهم: "ليس لي بهذا الأمر يدان"، أي لا طاقة لي به، ولا يُراد بذلك الجارحتان، بل يراد نفي القوة. وقد قيل أيضًا إن اليدين في الآية إشارة إلى نعمة الدنيا ونعمة الآخرة، والله أعلم[70].

وهذه الآية سيُشار إليها أيضًا عند الحديث عن الاستعمال الكنائي، وقد عدّها بعض العلماء من باب المجاز[71].

ومن الأمثلة على الاستعمال الاستعاري قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾ [إبراهيم: 9]، وهذه استعارة أيضًا. ومن أوجه تأويلها أن "الأيدي" هنا كناية عن حجج الرسل وبيّناتهم، إذ إنّ بها يتمّ السلطان والتدبير. وقد اعتاد العرب التعبير عن السلطان باليد، فيُقال: "لفلان يد على فلان"، أي سلطة، ويُقال: "زالت يد فلان"، أي عُزل من ولايته، ويقولون: "أُخذ الأمير باليد"، أي بالسلطان[72]. فإذا صحّ هذا التأويل، فإن معنى الآية أن الكافرين ردّوا حجج الرسل عليهم، فجاء الردّ من حيث أتت الحجج، أي من أفواه الرسل، فكأنهم ردوا أقوالهم ودعواتهم بأفواههم[73].

وقد حمل بعض العلماء الآية على معناها الحقيقي، أي اليد الجارحة، فذهبوا إلى أنّ القوم عضّوا أناملهم غيظًا على الرسل، كما يفعل المغيظ أو المقهور، وذهب آخرون إلى أنها صورة من صور الهزل والاستهزاء، كأن

يضع السفيه أصابعه في فيه استهزاءً بغيره، ويُتبع هذا الفعل بأصوات سخرية. وقد رأى الرضي أنّ هذا المعنى بعيد عن السداد، وأن غيره من الأقوال أولى بالاعتبار[74].

ومن المواضع التي وردت فيها الاستعارة قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا﴾ [الإسراء: 29]، فهذه استعارة لا يُراد بها اليد الحقيقية، وإنما هي كناية عن البخل والتبذير[75].

وهذا المعنى يظهر بوضوح في باب الاستعارة الكنائية، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا﴾ [الكهف: 57]، وهي استعارة، إذ المقصود بما "قدمت يداه" هو ما كسبه الإنسان من الأعمال التي توجب العقوبة. وهذا المعنى متكرر في القرآن الكريم، كما في قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ [آل عمران: 182]، وهذا أسلوب معروف عند العرب، إذ يُقال للجاني: "هذا ما جنت يداك"، وإن لم تكن الجناية قد حصلت بيده فعلًا.

المبحث الرابع

- **الاستعمال الكنائي للفظة "يد"**

تُعدّ لفظة "يد" من الألفاظ التي اكتسبت دلالات محددة في سياقاتها الأصلية، ثمّ انتقلت إلى استعمالات أخرى ضمن الحقل البلاغي، أبرزها الاستعمال الكنائي.

والكناية في اللغة ترجع إلى أصل "الكنية"، وهي تأتي على ثلاثة أوجه:

أولها: أن يُعبّر المتكلم عن شيء لا يرغب في التصريح به، وثانيها: أن يُذكر الإنسان بكنية تُضفي عليه توقيرًا وتعظيمًا،

وثالثها: أن تقوم الكنية مقام الاسم حتى يُعرف بها صاحبها كما يُعرف باسمه.

والكناية – من حيث بلاغتها – أن تُعبّر بلفظٍ وتُريد غيره، لكن ذلك اللفظ غير المقصود يكون ذا صلة بالمعنى المُراد، فيُفهم منه بالتلميح دون تصريح. ومنه قول العرب عن الغائب ما يدل عليه دون ذكر اسمه الصريح، وهذا من دلالات الكناية المتفرعة عن الأصل اللغوي[76].

الكناية في الاصطلاح واستعمالاتها البلاغية هي أن يُراد من الكلام إثبات معنى من المعاني، دون التصريح به بلفظه الصريح الموضوع له في اللغة، بل يُعبّر عنه بلفظ آخر يدل عليه من طريق الإيماء والتلميح، ويُفهم بالقرينة. ومثال ذلك قولهم: "هو طويل الباع"، يريدون بذلك: "طويل القامة"، دون التصريح بالمعنى المراد[77].

وقد أوضّح عبد القاهر الجرجاني أن معنى الكناية لا يُدرك من ظاهر اللفظ، بل يُفهم عن طريق المعنى[78]. وتتألف الكناية من ثلاثة عناصر: المكنّى به، والمكنّى عنه، والقرينة العقلية المعززة بسياق الكلام، وهي التي ترشد إلى المعنى المراد وتمنع من إرادة المعنى الظاهري[79].

وتُقسم الكناية من حيث طبيعة المكنى عنه على ثلاثة أنواع: "الكناية عن الصفة، الكناية عن الموصوف، الكناية عن النسبة. أما من جهة الوسائل السياقية التي تُوصل إلى المكنى عنه، فقد قُسمت الكناية على أربعة أنواع: التعريض، التلويح، الرمز، الإشارة"[80].

وقد توسع البلاغيون المتأخرون في تصنيف الكنايات، فذكروا أن الكناية عن الموصوف هي التي يُراد بها ذات غير صفة ولا نسبة، ومنها ما يدل على معنى واحد أو معانٍ متعددة، بشرط أن تكون مختصة بالمكنى عنه لتُفيد الدلالة عليه. أما الكناية عن الصفة، فهي ما يُراد بها صفات معنوية كالجود، والكرم، والشجاعة، ونحوها. وأما الكناية عن النسبة، فهي ما يُراد بها نسبة المعنى إلى من هو أهله حقيقة، ويُراد بها غالبًا ربط الصفات بالموصوفات على سبيل الدقة والخصوص[81].

يتأسس أسلوب الكناية – في جوهره – على الانتقال من المعنى الشائع لكلمة ما إلى معنى آخر مستنتج، على أساس علاقة خفية بين المعنيين. ولا يكون هذا الانتقال اعتباطيًا، بل مبنيًا على علاقات ذهنية وسياقية، مما يجعل الكناية تعبيرًا مجازيًا راقيًا، يتحاشى خشونة اللفظ إلى رصانته، ويعتمد في دلالته على ذكاء المتلقي[82].

بعد هذا العرض الموجز للكناية في البلاغة، ننتقل إلى بحث دلالة "اليد" في الاستعمال الكنائي ضمن القرآن الكريم. ففي قوله تعالى: ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [التوبة: 67]، جاءت "اليد" كناية عن الإنفاق، أي أنهم يُمسكون أيديهم عن البذل والصدقة وكل وجوه الخير[83].

ويُشير الزمخشري إلى أن تعدد الكنايات لمعنى واحد يعكس بلاغة الأسلوب، ويمثل قدرة فذة على استبطان أسرار اللغة وذوقها العالي[84]. وفي قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: 27]، تُفهم الكناية عن الندم والحسرة الشديدة، كما يظهر في صور أخرى كـ"عض الأنامل" أو "سقوط اليد"، أو "أكل البنان"، وهي جميعها كنايات عن الغيظ أو الأسف الشديد[85]. وفي موضع آخر، يقول تعالى: ﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف: 149]، والكناية هنا عن شدة الندم، إذ يُصور الندم بصورة حسية، إذ يبلغ الغم مبلغًا يجعل الإنسان وكأن يده قد سقطت عليه من شدته[86].

وقد ذهب بعض البلاغيين إلى عدِّ هذا من قبيل الاستعارة، لكنه – على أية حال – يُجسد حالة نفسية معقدة بأبلغ تعبير[87]. كما نجد في قوله تعالى: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ [التوبة: 29]، أن "اليد" كناية عن الاستسلام والخضوع، أي أن يدفعوا الجزية طائعين، لا عن طريق آخر ولا على سبيل التمنع أو الاستكبار[88].

ومن معاني "اليد" الكنائية أيضًا: الإعطاء والانقياد، ويُقال في التعبير العربي: أعطى فلانٌ بيده أي سلّم وانقاد. وقد ورد هذا المعنى في تفاسير متعددة عند قوله تعالى: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ

صَاغِرُونَ﴾ [التوبة: 29]، أي عن ذلٍ وخضوع، وهو ما ذهب إليه ابن الاعرابي أيضًا، وفسر به "اليد" في هذا الموضع[89]. كما يُقال في بعض الأقوال: "نقده لا نسيئة"، أي أعطاه يدًا بيد، دلالة على الدفع الفوري دون تأخير[90]. وقد حمل بعض المفسرين كلمة "اليد" في هذه الآية على النعمة، مستشهدين بقول الليث وابن الأعرابي بأن اليد سميت كذلك؛ لأنها وسيلة الإعطاء، والإعطاء لا يتحقق إلا باليد، فكأن قبول الجزية نوع من الاعتراف بنعمة ترك القتال والإبقاء على الأنفس[91].

ويظهر الاستعمال الكنائي لليد أيضًا في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا﴾ [الإسراء: 29]، فاليد المغلولة هنا كناية عن البخل، في مقابل البسط الذي يرمز إلى التبذير. وقد تكرر هذا التعبير أيضًا في قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ [المائدة: 64]، وفي هذا الموضع، يُراد من "اليد المغلولة" نفي الكرم والإنفاق عن الله تعالى، تعالى عن ذلك علوًا كبيرًا، وهي من أبشع صور الكناية التي قصد بها الطعن والتجسيم. وقد أُشير إلى أن الغِلّ هو القيد الحديدي الذي تُجمع به الأيدي، وهو ما يُعمّق معنى المنع والتقييد في هذه الكنايات[92].

تُعد الكناية عن الصفة من أبرز أنواع الكناية في القرآن الكريم، إذ يُراد بها إثبات معنى معنوي لا يُصرّح به لفظًا، بل يُشار إليه بإحدى اللوازم الحسية أو المعنوية. ومن ذلك ما ورد في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا﴾ [الإسراء: 29]، ففي هذه الآية الكريمة كناية واضحة عن البخل والإسراف، إذ جُعلت اليد المغلولة إلى العنق كناية عن الإمساك الشديد، وهو البخل، كما جعل البسط التام لها كناية عن الإسراف. وهاتان الصفتان – البخل والإسراف – صفتان معنويتان، وقد استُعملت اليد هنا دالاً كنائيًا عليهما[93]. ومن الاستعمالات الكنائية المهمة أيضًا قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ [الذاريات: 47]، فقد ورد لفظ "الأيدي" كناية عن القدرة الإلهية، لا عن اليد الجارحة. وقد فُسّرت "الأيدي" هنا بمعنى القوة التقديرية، وهي التي بها يتم البناء والخلق والتدبير، فالمراد بالأيدي: القدرة، وهي صفة معنوية لله تعالى منزّهة عن الجوارح[94].

ويُشير المفسرون إلى أن "القوة" تعني شدة البنية وصلابتها، وهي صفة بدنية مخلوقة، أما القدرة فهي صفة معنوية أزلية، بها يتمكن الحي من الفعل بناءً على إرادته، ولا علاقة لها بالضعف أو الاحتياج، ولهذا كانت اليد في هذه المواضع كناية عن القدرة[95].

ومن الكنايات الدالة على السبق والتصديق ما نجده في قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: 97]، فعبارة "ما بين يديه" كناية عن الكتب السماوية السابقة التي سبقت القرآن في النزول، وكأنها موضوعة أمامه يُعمل بها، ويُستأنس بذكر "اليد" في هذا السياق كناية عن القرب والسبق الزمني[96]. وقد ورد هذا الأسلوب الكنائي أيضًا في مواضع أخرى كقوله تعالى: ﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ﴾ [آل عمران: 3]، وقوله تعالى: ﴿ وَقَفَّيْنَا

عَلَىٰ آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ ۖ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾،[سورة المائدة: 46]، وقوله تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ ۖ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ۚ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [سورة المائدة: 48]، وغيرها.

ونلاحظ أيضًا كناية عن العمل وما يترتب عليه من أثر، كما في قوله تعالى: ﴿ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾، [البقرة: 95]، فالمراد بـ "قدمت أيديهم" هنا ما أسلفوه من أفعال وأعمال موجبة للعذاب، مثل الكفر، والتكذيب، وتحريف الكتاب، وسائر ألوان الظلم. فاليد هنا كناية عن العمل نفسه وما ينتج عنه من تبعة[97].

الخاتمة

بعد أن بلغ البحث نهايته، تبيّن للباحث جملة من النتائج، يمكن إجمالها على النحو الآتي:

أولًا: أظهر تتبّع المعاجم العربية أن لفظة اليد وُضعت في الأصل للدلالة على الجارحة المعروفة، غير أن الاستعمال اللغوي العربي وسّع من هذا المعنى، فأُطلقت اللفظة على معانٍ متعددة بفعل المجاز والاتساع الدلالي. وقد انتقل القرآن الكريم بهذه اللفظة من حدودها المعجمية الأولى إلى آفاق دلالية أعمق، دون أن يقطع صلته بالمعنى الأصلي.

ثانيًا: كشف البحث أن أسلوب الكناية يُعدّ من أكثر الأساليب ورودًا عند إسناد لفظة اليد إلى الله تعالى، وهو اختيار دلالي مقصود ينسجم مع عقيدة التنزيه، ويجنّب الوقوع في المعنى الحسي الذي قد يوهم بالتجسيم أو التشبيه. ويؤكد هذا الأسلوب وعي الخطاب القرآني بحدود الدلالة، وقدرته على التعبير عن المعاني العقدية بلغة دقيقة ومنضبطة.

ثالثًا: تبيّن أن الاستعمال الحقيقي للفظة اليد في القرآن الكريم يَرِد غالبًا في سياق آيات الأحكام، حيث تقتضي الدلالة التشريعية وضوح المعنى ومباشرته، لارتباطه بأفعال مكلّفين وآثار عملية. ويكشف ذلك عن العلاقة الوثيقة بين نوع الدلالة وطبيعة السياق الذي ترد فيه اللفظة.

رابعًا: لوحظ كثرة ورود لفظة اليد مقارنة بسائر الجوارح الأخرى في القرآن الكريم، ويُرجّح أن يعود ذلك إلى كون اليد أداة معظم الأفعال الإنسانية، فضلًا عن تعدد دلالاتها في اللغة العربية، مما جعلها قابلة لحمل معانٍ حسية ومجازية وإيمانية في آن واحد.

خامسًا: أكّد البحث أن الخطاب القرآني أولى لفظة اليد عناية دلالية خاصة، فوسّع معانيها بحسب السياق، فدلّت في مواضع على الكرم والإحسان، وفي مواضع أخرى على البخل أو العقاب أو القدرة، دون أن يؤدي هذا التعدد إلى اضطراب في المعنى. بل يعكس ذلك ثراء المعجم القرآني ودقته في توظيف اللفظ الواحد لخدمة مقاصد متعددة.

وعن طريق تحليل السياقات القرآنية، تبيّن أن دلالة اليد لا تُفهم بمعزل عن السياق اللغوي والنحوي والعقدي، إذ يقوم السياق بدور حاسم في توجيه المعنى وتحديد المقصود. كما ظهر أن العلاقة بين الدلالة المعجمية والاستعمال القرآني علاقة تفاعل وتكامل، حيث ينطلق القرآن من المعنى الأساس للكلمة، ثم يعمّقه ويطوّره على وفق مقتضيات الخطاب.

وخلص البحث إلى أن لفظة اليد في القرآن الكريم تحمل دلالات إضافية تتجاوز المعنى اللغوي البسيط، من أبرزها الدلالة على القدرة الإلهية، والعناية الربانية، والعمل الصالح، والعقاب الإلهي. وهو ما يؤكد أن هذه اللفظة لم تُستعمل بوصفها عنصرًا لغويًا عاديًا، بل أداة دلالية فاعلة اندمجت في البنية العقدية والتشريعية والبلاغية للنص القرآني.

وبذلك يتضح أن لفظة اليد في الخطاب القرآني تمثّل أنموذجًا للتكثيف الدلالي والبلاغي، حيث لا ينفصل اللفظ عن المقصد، ولا الصورة عن الفكرة، في نسق تعبيري متكامل يعكس خصوصية اللغة القرآنية وتميّزها.

التوصيات:

1. دراسة أوسع: يمكن توسيع نطاق الدراسة ليشمل كلمات أخرى تحمل دلالات متعددة في القرآن.
2. مقارنة بين اللغات: يمكن مقارنة استعمال كلمة "اليد" في القرآن الكريم مع استعمالاتها في اللغات الأخرى.
3. تحليل سياقي أعمق: يمكن إجراء تحليل أعمق للسياق اللغوي والنحوي لكل آية تحتوي على كلمة "اليد".
4. تكثيف الدراسات الدلالية والمعجمية للألفاظ القرآنية مع الاستفادة من السياق القرآني لفهم أبعادها العقدية والتشريعية والبلاغية.
5. الجمع بين المعاجم العربية القديمة والحديثة ودراسة الأساليب البلاغية المرتبطة بالألفاظ المنسوبة إلى الله تعالى، مثل الكناية، لتوضيح توسع الدلالة وتحقيق التنزيه.
6. إجراء دراسات مقارنة بين استعمال الألفاظ في القرآن الكريم والسنة النبوية، ونشر النتائج في المجلات العلمية المحكمة لتعزيز البحث القرآني المتخصص.

الهوامش:

(1) تهذيب اللغة (يدي)، وينظر: لسان العرب 15/ (يدي).

(2) السان العرب 15/ (يدي)، ويُنظر: تاج العروس 10/ (يدي).

(3) مفردات ألفاظ القرآن 889، ويُنظر: المعجم العربي الاساسي للناطقين بالعربية ومتعلميها 1321 – 1342.

(4) هذا عجز البيت وصدره "قلت إذكر الرحمن إلا بصالح" وهو لضمرة بن ضمرة النَّهشَليُّ.

(5) ينظر: لسان العرب 15/ (يدي)، تاج العروس10/ (يدي).

(6) ينظر: المصباح المنير/ باب الياء.

(7) ينظر: لسان العرب 15/ (يدي)، و تاج العروس10/ يدي.

(8) ينظر: تاج العروس10 / (يدي).

(9) ينظر: مقاييس اللغة 6 / (يدي)، تاج العروس 10/ (يدي).

(10) مقابس اللغه 6/ يدي، وينظر المتجد في اللغه العربية المعاصرة (باب يدي).
(11) ينظر: تاج العروس10 ايدي، المصباح المنير (باب الياء).
(12) تنظر تاج العروس10 (يدي) 342، مجمع البحرين / مادة (يدي).
(13) لسان العرب15/ (يدي)، ويُنظر تاج العروس10 / (يدي).
(14) تهذيب اللغة / (يدي)، ويُنظر المعجم العربي الاساس / 134.
(15) ينظر: تهذيب اللغة 13/ (يدى)، مقاييس اللغة151/6، لسان العرب 15/ (يدي)، وتاج العروس 10/ (يدي).
(16) لسان العرب 10/ (يد).
(17) ينظر: تهذيب اللغه/ (يدي)، تاج العروس 10/ (يدي)، ومفردات الفاظ القرآن 890- 891.
(18) ينظر: لسان العرب 10/ (يد).
(19) ينظر شروح التلخيص1/ 4.
(20) يُنظر اساليب البيان في القرآن 373- 374.
(21) أي معنى عامًا من المعاني العقلية والوضعية، فتدخل في التعريف المعاني العقلية المعاني اللغوية والمجازية.
(22) اسرار البلاغة 324.
(23) المصدر السابق نفسه: 355.
(24) الخصائص 2/ 442.
(25) المثل السائر 1/ 74- 75.
(26) الطراز 50/1.
(27) يُنظر: اساليب البيان في القرآن 380.
(28) يُنظر: اساليب البيان في القرآن/ 279- 2٨0
(29) الكشاف 819/4.
(30) الكشاف/ 803، ويُنظر: مجمع البيان 10/ 267، والميزان 5/ 296.
(31) أني اجادل.
(32) الكشاف27/4.
(33) الكشاف 3/ 356.
(34) الغشاء: الغطاء.
(35) يُنظر: الكشاف 3/ 316، والمحرر الوجيز 4/ 287 - 0288
(36) البحر المحيط2/ 588، ويُنظر: مجمع البيان 287/1، المحرر الوجيز 1/ 335.
(37) المصدر السابق نفسه، ويُنظر: مجمع البيان 1/ 287.
(38) يُنظر: الكشاف 8/2، مجمع البيان 3/ 14، البحر المحيط 4/ 441.
(39) ينظر الكتاب 386/2- 387، وجامع البيان 7 /82- 83.
(40) يُنظر: الكشاف 1/ 664، والبحر المحيط 4/ 247.
(41) يُنظر: الكشاف1/ 185، والبرهان في تفسير القرآن 1/ 94.
(42) التبكيت: التقريع، والغلبة بالحجة
(43) الكشاف2/ 437، يُنظر: المحرر الوجيز 3/ 239- 240.

(44) ينظر: لسان العرب، مادة (جوز).
(45) أسرار البلاغة، ص395؛ ينظر: أثر عبد القاهر الجرجاني في البحث البلاغي عند العرب، ص90، فنون البلاغة، ص90.
(46) أسرار البلاغة، ص325–326.
(47) دلائل الإعجاز، ص366.
(48) ينظر: فنون البلاغة، ص93.
(49) علم المعاني، ص33.
(50) ينظر: لسان العرب، مادة (حذف)
(51) ينظر: لسان العرب، مادة (زيد).
(52) يُنظر: أساليب البيان في القرآن الكريم، ص392–393
(53) يُنظر: أساليب البيان في القرآن الكريم، ص392–393.
(54) ينظر: الكشاف، 264/1، أساليب البيان في القرآن الكريم، ص399
(55) أساليب البيان في القرآن الكريم، ص410.
(56) ينظر: الكشاف، 688/1–689، الدلالة القرآنية عند الشريف الرضي
(57) البحر المحيط، 77/5؛ أساليب البيان في القرآن الكريم، ص392
(58) ينظر: الميزان، 287/5؛ أساليب البيان في القرآن الكريم، ص402.
(59) ينظر: مجمع البيان، 269/6.
(60) لسان العرب، ص: مادة "عور".
(61) أسرار البلاغة، ص29.
(62) دلائل الإعجاز، ص437.
(63) ينظر: أساليب البيان في القرآن، ص526 وما بعدها.
(64) الكشاف، ص289.
(65) ينظر: الكشاف، 493؛ روح البيان، 477؛ إعراب القرآن وبيانه، 461.
(66) ينتظر اعراب القرآن وبيانه، 7/ 225.
(67) ينتظر اعراب القرآن وبيانه، 7/ 245.
(68) عراب القرآن وبيانه 7/ 249
(69) ينظر: تلخيص البيان في مجازات القرآن، ص132.
(70) ينظر: تلخيص البيان في مجازات القرآن، ص133.
(71) ينظر: تلخيص البيان في مجازات القرآن، ص47.
(72) ينظر: تلخيص البيان في مجازات القرآن، ص180–181.
(73) ينظر: المصدجر السابق نفسه، ص 181.
(74) ينظر: المصدر السابق نفسه، ص181–182
(75) ينظر: تلخيص البيان في مجازات القرآن، ص 182.
(76) لسان العرب، كنا.
(77) دليل البلاغة، 66.

(78) يُنظر، المصطلحات البلاغية والنقدية عند عبد القاهر الجرجاني، 106.
(79) ينظر: البلاغة والتطبيق، 370.
(80) المصدر السابق نفسه، 371.
(81) يُنظر: مفتاح العلوم للسكاكي، 190؛ والإيضاح، 319، والبرهان في وجوه البيان،105
(82) التطور الدلالي للألفاظ في النص القرآني (دراسة بلاغية) 80.
(83) ينظر: روح البيان، 585/3.
(84) ينظر: أساليب البيان في القرآن، 712.
(85) ينظر: الكشاف، 276/3، ومجمع البيان، 262/7.
(86) ينظر: أساليب البيان في القرآن، 731
(87) ينظر: النكت في إعجاز القرآن، 94.
(88) ينظر: روح البيان، 525/3
(89) ينظر: الكشاف، 249/2–250، والبحر المحيط، 399/5، وروح البيان، 525/3.
(90) ينظر: تاج العروس، 344/10.
(91) ينظر: المصدر السابق نفسه، 345/10
(92) ينظر: تطور الدلالة للألفاظ في النص القرآني: دراسة بلاغية، 89
(93) ينظر: المحرر الوجيز، 450/3–451، والبلاغة والتطبيق، 372/3.
(94) ينظر: مجمع البيان، 267/9، مواهب الرحمن، 148/3.
(95) ينظر: شرح روح البيان، 23/9
(96) الكشاف، 195/1–196، والمحرر الوجيز، 184/1، ومجمع البيان، 376/1.
(97) يُنظر: الكشاف، 193/1، والميزان، 225/1.

المصادر والمراجع:

– القرآن الكريم.

1. أساليب البيان في القرآن، السيد جعفر الحسيني، مؤسّسة مؤنسة للطباعة والنشر، وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، طهران – شارع حسن آباد، الطبعة الأولى، 1413هـ.

3. أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني (ت. 471هـ)، تحقيق: هلموت ريتر، وزارة المعارف، إسطنبول، 1954م.

4. أعراض القرآن وبيانه، محيي الدين الدرويش، دار الميامنة ودار ابن كثير ودار الإرشاد للشؤون الجامعية، بيروت – دمشق، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، الطبعة الخامسة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1980م.

5. البيان في تفسير القرآن الكريم، محمد حسين الطباطبائي، تحقيق: الشيخ إياد باقر سلمان، دار إحياء التراث العربي، بيروت، دون تاريخ.

6. البلاغة والتطبيق، أحمد مطلوب وكامل حسن البصير، الطبعة الأولى، 1982م.

7. البرهان في تفسير القرآن، السيد هاشم البحراني، تحقيق: لجنة من العلماء المحققين، الطبعة الأولى، 1428هـ / 2007م.
8. البرهان في وجوه البيان، ابن وهب الكاتب، تحقيق: أحمد مطلوب وخديجة الحديثي، مطبعة العاني، بغداد، الطبعة الأولى، 1967م.
9. التحقيق في أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الفكر العربي، القاهرة، دون تاريخ.
10. التاج في معجم اللغة العربية (تاج العروس من جواهر القاموس)، السيد محمد مرتضى الزبيدي، تحقيق: ضاحي عبد الباقي، مراجعة: عبد اللطيف محمد الخطيب، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، الكويت، الطبعة الأولى، 1422هـ / 2001م.
11. تلخيص البيان في مجازات القرآن، الشريف الرضي، تحقيق: محمد عبد الغني حسن، دار الأضواء، بيروت، الطبعة الثانية، 1406هـ / 1986م.
12. جامع البيان في تأويل آي القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت. 310هـ)، دار الفكر، بيروت، 1405هـ.
13. الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني (ت. 392هـ)، تحقيق: محمد علي النجار، مطبعة دار الكتب المصرية، الطبعة الثانية، 1952م.
14. دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، 1984م.
15. الدلالة القرآنية عند الشريف المرتضى: دراسة لغوية، حامد كاظم عباس، بغداد، الطبعة الأولى، 2004م.
16. تربية الذوق البلاغي عند عبد القاهر الجرجاني، عبد العزيز عبد المعطي عرفة، دار الطباعة المحمدية، الطبعة الأولى، 1983م.
17. الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحيى بن حمزة العلوي (ت. 749هـ)، مطبعة المقتطف، مصر، 1913م
18. علم المعاني، بسيوني عبد الفتاح فيومي، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الثانية، 2004م.
19. فنون البلاغة: البيان والبديع والمعاني، أحمد مطر، دار البحث العلمية، 1975م.
20. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي – مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، دون تاريخ.
21. لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت، 1968م.
22. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ابن الأثير، تحقيق: أحمد الحوفي وبدوي طبانة، مطبعة نهضة مصر، القاهرة، الطبعة الأولى، 1960م.

23. مجمع البحرين، صفي الدين محمد بن علي الطريحي، تحقيق: أحمد الحسيني، مطبعة الأدب، النجف الأشرف، 1961م.
24. مجمع البيان في تفسير القرآن، الشيخ الطبرسي (الفضل بن الحسن)، دار مكتبة الحياة، بيروت، دون تاريخ.
25. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، عبد الحق بن عطية الأندلسي (ت. 541هـ)، تحقيق: جماعة من المحققين، القاهرة، الطبعة الأولى، 1977م.
26. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد الفيومي (ت. 770هـ)، طبع في قم، 1405هـ.
27. معاني القرآن، يحيى بن زياد الفراء، القاهرة، 1374هـ / 1955م.
28. المعجم العربي الأساسي للناطقين بالعربية ومستعمليها، إعداد جماعة من كبار اللغويين العرب، بتكليف من المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، توزيع لاروس، دون تاريخ.
29. معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، أحمد مطلوب، مطبعة المجمع العلمي العراقي، 1403هـ / 1983م.
30. مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، طليعة النور، دون تاريخ.
31. مقاييس اللغة، أحمد بن فارس زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، الطبعة الأولى، 1423هـ / 2002م.
32. المنجد في اللغة العربية المعاصرة، أنطوان نعمة، عصام مجور، لويس عجيل، مراجعة: أنطوان عزام، ريمون مفروش، دار المشرق، بيروت، دون تاريخ.
33. مواهب الرحمن في تفسير القرآن، السيد عبد الأعلى الموسوي السبزواري، مطبعة شيرفت، دار التفسير، دون تاريخ.
34. النكت في إعجاز القرآن، أبو الحسن علي بن عيسى الرماني (ت. 386هـ)، ضمن كتاب: ثلاث رسائل في إعجازالقرآن، الرماني– الخطابي– عبد القاهر الجرجاني، تحقيق: محمد خلف الله أحمد، ومحمد زغلول سلام، دار المعارف، مصر، ط3، 1396هـ/ 1976م.

الرسائل والأطاريح

1. التطور الدلالي للألفاظ في النص القرآني: دراسة بلاغية، أطروحة دكتوراه تقدّمت بها جنان منصور كاظم الجبوري إلى مجلس كلية التربية – ابن رشد، وهي جزء من متطلبات نيل شهادة الدكتوراه فلسفة في اللغة العربية وآدابها، بإشراف الأستاذ الدكتور قيس إسماعيل محمود الأوسي، 1426هـ – 2005م.
2. المصطلحات البلاغية والنقدية عند عبد القاهر الجرجاني، رسالة ماجستير تقدّمت بها جنان منصور كاظم الجبوري إلى مجلس كلية التربية – ابن رشد في جامعة بغداد، 1420هـ – 1999م.
3. أثر عبد القاهر الجرجاني في البلاغة العربية حتى عصر الخطيب القزويني، رسالة دكتوراه قدّمها عبد الرحمن شهاب أحمد إلى كلية الآداب، جامعة القاهرة، 1397هـ – 1977م.